ملامح الغزل السياسي في شعر عمر بن أبي ربيعة

المدرس المساعد
نجلاء جاسم محمد
جامعة البصرة – كلية الاداب

ملخص

هذا البحث هو قراءة جديدة لنصوص قديمة (من شعر عمر بن ابي ربيعة) ارى انها استبطنت معان تحتاج الى وقفة متأملة لأنها تنطق بما هو اكبر من الغزل ، اذا ما ربطت هذه النصوص بأحداث زمان الشاعر التي وسمت بالدموية من جراء سياسة الأمويين ذات الطابع العسكري في قمع المعارضين ومطاردتهم للشعراء الذين ناصروا اي فرقة سياسية تعارضهم ، فحاولت في دراستي هذه استعراض ما جال بخاطر شاعر اموي لم يؤيد السلطة ولم يثر عليها الا انه ناصبها العداء المبطن ولم تعجبه سياساتها فحاول ان يذر الرماد بعيون خلفاء بني امية وعمالهم من خلال التغزل بنسائهم على نحو يحفظ به حياته ويبدي من خلاله ما دار في نفسه وابناء جلدته من كره للسلطة الحاكمة.

Malameh Al-Ghazal Al Seyasi Fi Shyer (Omar Bin Abi Rabeeaa)

Assistant Lecturer:
Najlaa Jasim Mohammed
University of Basra –College of Arts

ABSTRACT

This study is a new reading for old texts (of the poetry of Umer Bin Abi Rabeeah). I see that this reading has invented senses that needs meditating halt because it utters with what is greater than flirtation, if these texts is

connected with events of the poet's time which are marked by bloodiness due to Amawic policy characterized by military nature which oppresses the opponents and chases the poets who support any group opposes them. I have tried in my study to show what has come in the mind of Amawic poet who does not support the authority and does not revolt against it but he opposes it secretly. Its policy does not admire him, so, he tries to cheat the Caliphs and the agents of (Bani Umeya) through the flirtation in their women to protect his life through which he displays what is in himself and his compatriots, that is, aversion to the ruling authority.

المقدمـــــة :

واكب الشعر العربي منذ بداياته حياة الإنسان العربي وكان خير معبر عمّا خالجه من مشاعر ومواقف إنسانية مختلفة ففي العصر الجاهلي صور تلك الحياة في أكثر شؤونها ، والسياسة أحد تلك المجالات التي عبر عنها الشعر بأصدق صورة " إلا أن البنية الاجتماعية كانت مختلفة ، فالقبيلة كانت هي دولة الشاعر " [١] إذ إنها النواة الأولى للدولة العربية فالشعراء وجهوا أشعارهم إلى قبائلهم فناصروها وقاتلوا من اعتدى عليها بألسنتهم وسيوفهم حتى جاء الإسلام بمفاهيم جديدة ، وهي توحيد الأمة وكسر طوق القبيلة والولاء للعقيدة فنشأت الدولة الإسلامية وبدأت حياة سياسية بمفهوم آخر أوسع وأوضح من سابقه إذ واكب الشعر العربي هذا التطور السياسي الجديد ، فبدل أن يواجه الشعر لنصرة القبيلة وجهه لنصرة الأمة أو الدولة ، وبعد توالي الأحداث وظهور الصراعات السياسية ظل الشعر أداة تعبيرية رائدة وانقسم الشعراء بحسب ولائهم السياسي إلى الفرق التي أيدوها وأبرزها : العلويون ، والأمويون ، والخوارج ، والزبيريون ، وكان لكل من هذه الأحزاب شعراء يناصرون كل حزب أو فرقة ويذودون عنها بشعرهم وظل فريق آخر من الشعراء لم ينغمسوا في الصراعات السياسية التي دارت إلا أنهم لم يكونوا بمنأى عن السياسة فهي شأن يومي لا يمكن الحيد عنه وعدم التأثر به ، سيما وأن الشعراء يملكون نفوساً أكثر استشعاراً من بقية البشر فكان لابد من تأثرهم بشكل أو بآخر بالسياسة ، أو بتعبير أدق بالأحداث السياسية التي دارت رحاها، وأكثر هذه الأحداث دموية وأثرت في نسيج الأمة إلى يومنا هذا ، معركة الجمل ، وصفين وكارثة الطف وتدنيس الكعبة المشرفة بضربها بالمنجنيق .

سنحاول من خلال هذه الصفحات الوقوف على واحد من الشعراء الذين لم ينخرطوا في أي حزب سياسي أو فرقة من الفرق السياسية في العصر الأموي إذ كانت له فلسفته الخاصة ومواقف ميزته عن غيره من الشعراء في تعاطيه مع الشأن السياسي في عصره هو (عمر بن أبي ربيعة) .

صورت الكتب والدراسات هذا الشاعر الأموي بالشاعر العابث اللاهي غير المكترث لأحداث زمانه ، وذلك للنهج الذي إلتزمه الشاعر إذ لازم الغزل دون غيره من أغراض الشعر .

كثرت الدراسات التي أحاطت بعمر بن أبي ربيعة وبشعره وزمانه وكثر النقاد الذين أرخوا ودرسوا شعر ابن أبي ربيعة إلا أننا وجدنا طابعاً خاصاً يلف كل تلك الدراسات التي تصور ابن أبي ربيعة على أنه شاب لا يحمل هماً ولا غماً ولا قضية سوى التغزل بالنساء ، ولم يكن مهتماً بالأحداث السياسة التي عاصرته والتي خلفت وراءها ردات فعل وصل صداها إلى يومنا هذا .

ولعل السبب وراء ذلك هو الاطلاع المسبق على آراء المؤرخين في ابن أبي ربيعة والتأثر بها والإقبال على دراسته وفي أذهانهم تصور مسبق عنه وعن شخصيته فيأخذوا من شعره ما يتوافق مع وجهة النظر هذه ولا يلتفتون إلى جوانب أخرى في شعره ، الأمر الذي حذا بنا إلى إفراد هذه الدراسة للوقوف على جانب آخر من جوانب شعر ابن أبي ربيعة للتعرف على ما جال بخاطره سيما وأنه لم ينظم إلى طائفة سياسية معينة ، ففي هذا البحث سندرس الأسباب والدوافع التي جعلت (ابن أبي ربيعة) يلتزم هذه الطريقة التعبيرية دون غيرها .

بيئة الحجاز السياسية والأدبية :

بعدما اغتصب الأمويون الخلافة من أهلها ونقلوا مركزها من الحجاز إلى الشام تشكلت جبهة معارضة كبيرة انبثقت منها أحزاب سياسية أو فرق دينية ذات طابع سياسي أبرزها الحزب الشيعي الموالي لأهل بيت النبوة ، والحزب الزبيري وأبرز زعمائه عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب والحزب الخارجي أو حزب الخوارج ، فتسارعت الأحداث ونتيجة للظلم وعدم إنصاف أهل الحجاز بإهمالهم وتهميشهم ما لبث أن تحولت هذه المعارضة إلى ثورات بوجه الأمويين ، الذين تحركوا لإخماد هذه الثورات بوسائل مختلفة ولعل أهم وسيلتين في قمع الثورات كانت القمع العسكري وتصفية الخصوم مثلما فعلوا مع أهل العراق عندما شنوا عليهم حروباً أتت على الأخضر واليابس ، أو" بإغداق الأموال وبث المجون واللهو في الحجاز ليشغل أهله بالرذيلة ويبتعـدوا عن

السياسة والحكم ، وبذلك تكون السلطة صاحبة اليد الأكثر تأثيراً في إغراق المجتمع بالأموال والفساد " [٢] لإلهاء الشباب عن شؤون الحكم والسياسة " فلم يكن لشباب الحجاز يد في صنع هذا الواقع الفاسد بل وجدوا أنفسهم أسارى هذا الوضع فمشوا في الركب الذي اختاره لهم الحكام والساسة " [٣] وبتوالي الأحداث ازداد كُره أهل الحجاز لبني أمية ، ولعل الحزب الزبيري هو أكثر الأحزاب السياسية تعصباً للحجاز وللحجازيين " فقد أغاظهم نقل الخلافة من الحجاز وهي مهبط الوحي ومنطلق الفتوحات إلى الشام ، والاعتماد على القبائل الشامية في الحكم واستبعاد القبائل المضرية ، وأهل الحجاز منها " [٤] . وفي ذلك يقول عمر :

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلدا [٥]

ومما فاقم الكراهية والنقمة على بني أمية في نفوس أهل الحجاز الحملات العسكرية التي شنها وبأيدي شامية على زعماء وكبار اهل الحجاز ولعل أبرز حادثتين هما فاجعة الطف التي استشهد فيها سبط النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – وكوكبة من أهل بيته الأطهار وواقعة الحرة التي غزت فيها جيوش الشام الحجاز " وحرقت فيها الكعبة المشرفة واستشهاد كثير من الحجازيين فيها " [٦] وكلا الحادثتين في زمن يزيد بن معاوية والمعروف عن حكام بني أمية أنهم قد شجعوا الشعراء وأغدقوا عليهم الجوائز فأعطوهم نصيباً من بيت المال ، إذ " يروى عن معاوية أنه قال : اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم ، فإنه مآثر أسلافكم ومواضع إرشادكم ، وقد صدق معاوية في ما قال ، فالشر يتغنى بمآثر الجاهلية ويرشد الناس إليها " [٧] .

وبذلك يكون بنو أمية قد وجدوا ظرفاً موائماً لابن أبي ربيعة ليسير في شعره بهذا الاتجاه، فهم من أغدق الأموال على الحجاز لتحويلها من مركز للعبادة إلى مركز للمجون ، وهم من بثوا روح الجاهلية العصبية والأدبية وغذوا بها الشعر والأدب وهم من دفع الناس إلى الكراهية والحقد من خلال ظلمهم وتهميشهم للحجاز وأهله فانقسم أهل الحجاز في مواجهة الأمويين إلى فرقتين فاختار بعضهم طريق المواجهة العسكرية في إظهار معارضته السياسية كما هو الحال عند الشيعة والزبيريين واختار الفريق الآخر من المعارضين للسياسة الأموية طريقاً مختلفاً لمواجهتهم وهو المواجهة الإعلامية ، والتحريض ضد الأمويين سيما وأن سبيل المواجهة الإعلامية مع السلطة الحاكمة من خلال الشعر ، كان أحد سمات شعر الحجازيين ، ففي زمن النبي – (صلى الله عليه واله وسلم) – " شبب الشاعر الجاهلي (كعب الأشراف) بنساء المسلمين في قصيدته التي رثا فيها قتلى

بدر وقد أوصله هذا إلى القتل بأمر من الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) " [٨] . واستمر هذا النمط من الغزل السياسي أو الغزل الهجائي في العصر الأموي إذ تغزل " عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بمجموعة من نساء الأمويين فيقول في رملة بنت معاوية :

رملُ هل تذكرين يـــــوم غَزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمنـــــــي
إذ تقولين عمرك الله هل شـــــي ء وأن جل سوف يسليك عني
أم هل أُطعمتُ منكم يا بني حسّا ن كما قد آراك أطعمت مني " [٩]

وتطور هذا النوع من الغزل السياسي " على يد الشاعر الزبيري عبيد الله بن قيس الرقيات حتى عده بعض النقاد إنه صاحب السبق فيه " [١٠] والعرجي وهو شاعر حجازي أيضاً قد شبب " بأم محمد بن هشام ، جيداء وزوجته جبده ، على سبيل الإيذاء والتعريض لا على سبيل الحب فيقول فيها :

عوجي علينا ربة الهودج إنك إن لا تفعلي يحرجي
أسير ما نال محب لـــــدى بين حبيب قولـــــه عرجِ
تغضن إليه حاجـة أو يقل هل لي مما بي من مخرجِ
من حيكم بنتم ولم ينصرم وجد فؤاد الهائم المنضجِ " [١١]

وبذلك تكون بيئة الحجاز السياسية وتغذية واذكاء نار الشعر من قبل السلطة الحاكمة ، ووجود هذا اللون من الغزل السياسي ، سيما وأنه نشأ وتطور في بيئة الحجاز السياسية والأدبية وعلى يد شعراء الحجاز فلا بد أن يكون لهذه العوامل أثر في شعر ابن أبي ربيعة فضلاً على أن طريقة التعبير عن المواقف السياسية اتخذت طابع شعر الغزل ، والذي أبدع فيه ابن أبي ربيعة وشهد له بأنه أغزل قريشي أو أغزل أهل الحجاز .

عائلة ابن أبي ربيعة وطموح الزعامة:

ينتمي ابن أبي ربيعة إلى واحدة من العائلات القريشية ذات النسب الرفيع والمكانة السياسية المرموقة في مكة والتي تسود فيها قريش قبيلة الشاعر إذ ينتمي إلى البيت المخزومي ، المعروف عنهم أنهم قادة عسكريون ، وتجار من أصحاب الرأي السياسي والمنعة والحزم حتى إن عمه لأبيه وهو الوليد بن المغيرة وصل به الحد إلى طلب النبوة لنفسه عندما نزل الوحي على النبي (صلى الله

عليه واله وسلم) " أ ينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ! ويترك أبو مسعود عمر بن عمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ! فأنزل الله تعالى فيه : " وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ " (١٢) ، ونزل فيه عدد غير قليل من الآيات القرآنية كان ينازع النبي ويخاصمه لأنه يرى نفسه أحق بحمل الرسالة لأنه سيد من سادات قريش وصاحب المال والمنعة فيها والقريتين المشار إليهما في الآية الكريمة هما مكة والطائف .

وأبو عمر وهو عبد الله بن أبي ربيعة كان أحد كبار تجار قريش " وكان يلقب بالعدل ، لأنه كان يكسو الكعبة في الجاهلية سنة ، وتكسوها وفود قريش سنة أي أنه كان يعدلهم جميعاً " (١٣) ، وينقل أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) اقترض منه بضعة عشر ألفاً يستعين بها على المشركين في موقعة حنين "(١٤) ومن ثم ولاه النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على بلـــدة تسمى (الجند) حتى وافته المنية " (١٥) .

فعمر من عائلة كان لها دور كبير في رسم الملامح السياسية في الجاهلية وصدر الإسلام ، وتولية والده على مقاطعة في اليمن من قبل النبي صلى الله عليه واله وسلم يدل على أنهم أُناس أهل للعمل السياسي فلا بد أن يكون عمر قد ورث شيئاً عن والده وأجداده من حب للتصدي لشؤون الحكم والسياسة لأنهم كانوا يرون في أنفسهم أهلاً لها .

التوجه السياسي لعائلة ابن أبي ربيعة

كانت البيوت القرشية تتنازع فيما بينها حول الزعامة على مكة ففي الجاهلية نشبت عدة مماحكات حول قضايا تمس جوهر هذه الزعامة "ولعل أقربها إلى عصر النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) حادثة السقاية للحجيج في مكة إذ تنازعت قريش وتخاصمت مع جد النبي حول أحقية امتلاك زمزم ومن ثم آل أمر السقاية (لبني هاشم) "(١٦)وبعد نزول الوحي على النبي أخذت هذه العائلات محاولة التصدر من خلال إما الانتماء إلى الدين الجديد أو أخذ الزعامة من خلال الوقوف ضده وبعد معركة بدر التي ساد فيها من جهة المسلمين بنو هاشم بقيادة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) تزعم بنو أمية مكة وقريش من خلال كبيرهم أبي سفيان بن حرب الذي ما انفك عن إرسال الجيوش وقيادتها في وجه المسلمين ، وبعد فتح مكة على يد النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) انتهت سيادة بني أمية على قريش إلا أنهم عادوا إلى صدارة الأحداث السياسية بعد

ولاية عثمان بن عفان محاولين العودة بالزمن إلى الوراء والحصول على الزعامة ، إلا أن هذه الزعامة أكبر من زعامتهم على قريش بل هي زعامة على كل عربي ومسلم وظلوا يصارعون كل من ينازعهم هذه السيادة حتى هوى نجمهم على يد بني العباس .

لابن أبي ربيعة أخوان هما ((عبد الرحمن بن أبي ربيعة والحارث والذي لقب بـ (القباع) وهو من أشراف قريش وساداتها)) [١٧] وكان لكل منهما موقف سياسي معادٍ للأمويين ، وكلاهما كانا من المؤيدين للحزب الزبيري ، ((إذ ولى عبد الله بن الزبير الحارث على البصرة عندما كان مسيطراً عليها)) [١٨] . وهذا يدل على أنه أحد قادة الحزب الزبيري ، وعبد الرحمن هو الآخر كان زبيرياً ، وهو أحد ((الرؤوس في يوم الحرة مع حامية المدينة يدافع عنها من بني أمية ، ويردهم مع المحاصرين ، حتى اقتحم عليهم أهل الشام واقتتلوا حتى عاين الموت ، إلا أنه نجا))[١٩]. فأسرة ابن أبي ربيعة كانت ذات توجه وانتماء سياسي إذ دعمت وساندت عبد الله بن الزبير في كل معاركه ضد الأمويين .

الطابع الرمزي لشعر ابن أبي ربيعة

درس شعر ابن أبي ربيعة كثير من الدارسين إذ تباينت وجهات نظرهم في شعره بحسب المنهج الذي اعتمدوه في دراسة شعره ولعل أبرزها

أ- دراسة لشخصية عمر (على وفق إطار تاريخي ، مع دراسة للزمان والمكان والأحداث التي دارت أيام الشاعر ، وهذه الدراسات اعتمدت في مجملها على ما كتب في التاريخ الأموي وما أُرخ وأثر عن ابن أبي ربيعة .

ب- دراسات أكثر حداثة حاولت أن تقف على نصوص ابن أبي ربيعة دراسة وتحليلاً ، أي جعلت من النص نفسه مدار الاهتمام والدراسة ، وحاولت أن تستنطق نصوص ابن أبي ربيعة للتعرف على سبب إلتزامه لوناً واحداً من الشعر والإبداع فيه وهو الغزل دون غيره من الأغراض التي قال فيها بقية الشعراء .

وكلا الاتجاهين في دراسة شعر ابن أبي ربيعة سواء من التزم المنهج التاريخي أو المنهج النصي إذا صح التعبير قد أشار إلى تأثر ابن أبي ربيعة بالسياسة وأن شعر الغزل " عنده كان نوعاً من التعويض ، وأنه صورة أخرى للسياسة التي أهملته " [٢٠] .وفسرت بعض الأنماط التعبيرية عن

ابن أبي ربيعة وهي المزج بين الحب والفقد والفشل على أنها " مشاعر كامنة في نفس الشاعر وفي البيئة التي كان يعيش فيها تتجاوز تلك التجربة الفردية فقد أصابت الحجاز محن قاسية كثيرة ، من حروب وفتن وبطش من جانب الأمويين كموقعة الجمل وصفين والحرة وكربلاء وحصار مكة أيام الزبيريين طبعت حياة الحجاز بطابع من الحزن العميق والشعور بالفجيعة لفقد من أودت بهم تلك الحروب والفتن " [٢١] ففسرت هذه الظواهر في شعره على أساس تأثره بالسياسة أو بالأحداث السياسية في عصره فالطابع الرمزي لا يمكن أن ينكره دارس قرأ كل شعر ابن أبي ربيعة ولعلني لا أغالي إذا ما قلت إن مقطوعته (وكيف طلابي عراقية) هي أكثر شعره إيحاءً بالرمزية السياسية إذ يقول فيها :

ألم تسأل الربع أن ينطقا بقرن المنازل قد أخلقـــــا
ديار التي تيمت عقلـــهُ فياليته غيرها عُلقـــــــا
وكيف طلابي عراقيـــة وقد جاوزت عيرها الخرنقا
تؤم الحداةُ بها منـــزلاً من الطف ذا بهجة مؤنقـــا
وكيف طلابكِ إلا الصبا وغرب النوى بلـداً مسحقا
ولو أنه إذ دعاه الصبـا إليها أبى لم يكـــــن أخرقا
ولكنه قربته المنـــــى وسيق إلى الحين فأستوسقا [٢٢]

وهذه الأبيات تصف رحلة رجل أحب امرأة تسكن العراق فأغوته إلى أن يتبعها فيقتل على يد أهلها في الطف ، ولو تعمقنا أكثر في هذه الأبيات لوجدنا أن الشاعر يصف رحلة بعض أبناء الحجاز إلى العراق ، فبداية الرحلة من قرن المنازل ((جبل قرب مكة وهو أحد الأماكن التي يحرم منها حجاج العراق ، ونجد وهو أشبه ببوابة انطلاق القوافل إلى العراق)) [٢٣] وهو هنا يصف بداية رحلة إلى العراق إذ تبدأ الرحلة بوقفة طللية تأملية حزينة فالانطلاقة من مكة من بوابة القوافل إلى العراق ثم تبدأ الرحلة بوصف لطريق المحبوبة

ديار التي تيمت عقله فيا ليته غيرها عُلقا

وتسير هذه العير إلى العراق وتجتاز (الخرنقا) و((الخرنق موضع بين مكة وبصرة وهو على طريق القوافل بين الحجاز والعراق وفيه قتل بشر بن عمر بن مرثد)) [٢٤] ومن ثم تصل القافلة إلى الطف

تؤم الحداة بها منزلاً من الطف ذا بهجة مؤنقا
وكيف طلابك إلا الصبا وغرب النوى بلداً مسحقا

((والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية وهناك استشهد الحسين بن علي (عليهما السلام))) (٢٥) .

في النص إشارة إلى الحرق أيضاً ونهاية مأساوية في أرض الطف فهذا النص يدل دلالة رمزية على رحلة الإمام الحسين وقد قال عنها الشاعر رحلة قافلة فالإمام □عليه السلام □ لم يخرج للقتال في جيش بل بقافلة من أهل بيت النبوة الأطهار وقد مروا بالطريق الذي وصفه الشاعر وانتهى الأمر بهم في أرض الطف مصرعين وقد أحرقت خيامهم وقتل شبابهم مما يؤكد أن في هذه القصيدة دليلاً على تأثر ابن أبي ربيعة بالسياسة وعلى معاداته للأمويين وكرهه لهم ، إلا أنه لا يخرج عن طابعه الغزلي حتى في وصف هذه الخطوب الجسام ، إذ صور هذه الرحلة بصورة محب يريد الخير لنفسه ولمحبوبته وهي من أهل العراق إلا أنها قد ساقت حبيبها إلى منيته ولعل أهم الأساليب الرمزية التي أنتجها الشاعر في تغزله في الأمويات هو أسلوب التكنيه ، أي ذكر كنية للمرأة التي تغزل بها دون أن يظهر أسمها الحقيقي خوفاً من أن يبطش به ولاة وعمال بني أمية وفي ذلك يقول :

علق القلب من قريش ثقالاً ذات دل نقية الأثـــــــواب ِ
ربة للنساء في بيـــت ملكٍ حدّ ُها حلّ َ ذروة الأحســـاب ِ
فتراءت حتى إذا جن قلبـي سترتها ولائـــــدٌ بالثيـاب ِ
فأتقي ذا الجلال يا أم عمرو وأحكمي في أسيركم بالصواب ِ (٢٦)

الكنية كانت إحدى الوسائل التي يتبعها الشعراء لإخفاء أسم المعشوقة خوفاً من أهلها لا سيما وأن الشاعر قد أشار إلى أن المرأة (من بيت ملك) وهو بيت الأمويين ، وفي شعر بن أبي ربيعة الكثير من الكنا والألقاب التي خلعها على نساء البيت الأموي خوفاً من أن ينزل به عقاب الولاة وغيرهم من عمال بني أمية على الأمصار الإسلامية ، وبذلك يكون الشاعر قد استخدم التكنية عن النساء وهو أحد أساليب التمويه والترميز ، وفي الوقت عينه سلاح لوخز الأمويين في نسائهم .

التغزل بنساء الأمويين

يحمل ديوان ابن أبي ربيعة في طياته قصائد غير قليلة نظمه في نساء البيت الأموي ، والتي نرى أنها لم تنظم في حب نساء الأمويين وإنما نظمت على نمط الغزل السياسي ، وهناك الكثير من الشواهد التي سنذكر بعضها لدعم رأينا ،

كان الشاعر أسيراً لرغبتين تنازعانه ، عزة نفس واعتزاز بالأهل والمكانة ، وانهزام وحزن ، وانكسار ، فموقفه ((موقف الرجل الذي يرى انتصار خصمه ، ثم لا يجد سبيل إلى أن يغالبه هذا النصر ، فيستكين يملؤه الغيظ ، فيحاول أن يصرف هذا الغيظ في حياة بعيدة عن الجد ... حياة فيها مهادنة السلطة مهادنة السليب العاجز من نحو ، وفيها هذه الخصومة الذاتية وهذا القلق الداخلي الذي يصطرع في نفسه من شرف المكانة وقصور الواقع من نحو آخر وهي خصومة لا يفيد معها غير محاولة سلوها والبعد عنها ، إلا أن هذا لم يمنعه من غمز الأمويين بشعره ليحقق شيئاً من رضا النفس والسلامة من الانتقام معاً)) [٢٧] لذا نجد مجموعة غير قليلة من القصائد التي يذكر فيها الشاعر نساء الأمويين بصورة صريحة منها ، " تغزله (بأم البنين) وهي زوج الوليد بن عبد الملك بن مروان " [٢٨] وفاطمة بنت عبد الملك هي الأخرى لم تسلم من تعرض ابن أبي ربيعة لها فتغزل بها دون ذكر اسمها في قصيدة مطلعها :

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي ليتني متُ قبل يوم الرحيلِ [٢٩]

وفيها يقول أيضاً :

أومت بعينيها من الهودج لولاك في ذا العام لم أحججِ

أنت إلى مكـــــة أخرجتني ولو تركت الحج لم أخرجِ [٣٠]

وتغزل أيضاً برملة بنت مروان بن الحكم في قولهِ

لعمري لقد نلتُ الذي كنت أرتجي وأصبحت لا أخشى الذي كنت أحذرُ

فليس كمثلي اليوم كسرى وهرمزٌ ولا الملك النعمان مثلي وقيصرُ [٣١]

وهذه الأبيات تحمل دلالة واضحة على تمكن عقدة السياسة والملك من نفس عمر فعند ظفره بأميرة أموية ، أي أنه أعلى من ملوك الأرض وسلاطينها ((ولعل مقارنة المتعة التي حصل من علاقته بهذه الفتاة الأموية تعدل هؤلاء الملوك جميعاً تكشف الكثير من خبايا نفس عمر الناقمة على الأمويين والمتطلعة إلى ما بين أيديهم من ملك)) [٣٢]

وتغزل أيضاً ، غزلاً صريحاً بأم الحكم وهي أخت مروان بن الحكم والتي يقول فيها :

لمن الديار كخط بالقلـــــــم لم يغير رسمها طول القـــــدم
صاح ، أني شفني طول السقم وصبا القلب إلى أم الحكـــــم
وصبا القلـــــــب إلى بهنانةٍ مثل قرن الشمس يبدو في الظلم
مارات عيني لها فيما تـــرى شبهاً في أهل حلٍ وحـــــرم
وطري حسنٍ تقويســـــــة زانها ذاك ، وعرنين أشـــــم
وبثغرٍ واضح أنيابـــــــه طيب الريح جميل المبتســـــم (٣٣)

فهو لا يكاد يترك امرأة أموية آتية إلى الحجاز إلا ونظم الشعر فيها وتغزل بها ، وديوانه يعج بقصائد على هذا النحو كما أسلفنا وهو ((مليء بالكنا والألقاب لكثير من النساء الأمويات التي تغزل بهن عمر بن أبي ربيعة ولم يُشر إلى أسمائهن صراحة خوفاً من أن يلحق به ما لحق بغيره من الشعراء)) (٣٤) .

موقف السلطة من الشاعر

تساهل الأمويون كثيراً مع الشعراء اللاهيين والعابثين ولم يولوهم اهتماماً وهم يدعون أنهم حماة الخلافة ، والدين ولأنهم اغتصبوا الخلافة من أهلها ولم يكونوا أهلاً لها تركوا الشعراء العابثين دون محاسبة فأصبح الباب مفتوحاً للهو والعبث والمجون ولم يقف الأمر إلى هذا الحد بل تمادى أصحاب السلطة والنفوذ بدعمهم الشعراء و المغنين والقينات والجواري ليكون لكل منهم مجلساً خاصاً باللهو والمجون إلا أنهم استثنوا من هذا الانفلات أو التساهل الشعراء الذين يناصبونهم العداء ، أو يحاولوا أن يناصروا غيرهم من الناس ، لأنهم يعرفون القيمة الحقيقية للشعر والذي يمكن أن تؤدي قصيدة واحدة تؤثر في نفوس العرب إلى حرب ضد الأمويين تنغص عليهم حلو ملكهم سيما وأن التاريخ العربي سبق وأن ((شهد تأليب القبائل العربية أو تحالفها ووقوفها جنباً إلى جنب في بعض الحروب بسبب الشعر مثل معركة ذي قار أيام الجاهلية)) (٣٥) .

وفي معركة الأحزاب كان للشعر دور كبير في تحالف القبائل العربية المشتركة ومحاصرة المدينة المنورة .

استشعر الأمويون أهمية كسب الشعراء في صفهم ، فأغدقوا عليهم المال ، والجوائز واستمالوهم إلا من كان له موقف ثابت تجاه القضية التي آمن بها " إذ سأله يوماً سليمان بن عبد

الملك بن مروان عندما كان أميراً ، ما يمنعك من مدحنا ؟ ، قال : أنا لا أمدح الرجال ، إنما أمدح النساء " [٣٦] فالسلطة استشعرت أهمية شعر ابن أبي ربيعة سيما وأن شعره يكاد ينشد ويغنى في كل بيوت الحجاز فإن مدح ولاة بني أمية كان لذلك المدح أثر عظيم في نفوس الناس .

رفض ابن أبي ربيعة مدح السلطة بعد استجدائها هذا المدح وتغزله بنساء الأمويين أظهر عليه سخطاً واضحاً لذا نجد أن الحكام حاولوا إيذاء ابن أبي ربيعة وإظهار عدم رضاهم عنه فلما " حج عبد الملك بن مروان لقيه عمر بن أبي ربيعة بالمدينة فقال له عبد الملك : ألا حياك الله يا فاسق، قال : بئست ؟ تحية ابن العم لابن عمه على طول شحط فقال له : يا فاسق ذاك إنك أطول قريش صبوة وابطأوها توبة ألست القائل

ولولا أن تعنفني قريش وقول الناصح الأدنى الشفيق
لقلت إذ التقينا قبلينـــي ولو كنا على ظهرِ الطريق " [٣٧]

فالسخط من ابن أبي ربيعة يحاول أن يظهره عبد الملك بن مروان بأنه غيرة على الأخلاق ((في حين أن مكة والمدينة مليئة ببيوت العزف والقيان ولا يكاد يخلو زقاق من قرع دف أو صوت مغن أو جارية)) [٣٨] .

فهذه الغيرة المتأخرة على الدين ما نراها إلا نقمة على ابن أبي ربيعة لأن غزله السياسي في نساء الأمويين يؤذيهم جداً ، ولعل سليمان بن عبد الملك أكثر وضوحاً في موقفه من ابن أبي ربيعة إذ يرى أنه " لما قدم سليمان ابن عبد الملك إلى مكة سأل عمر بن أبي ربيعة قائلاً:أ لست القائل

***وكم من قتيل لا يباءُ بـــــه دمٌ ومن غلقٍ رهناً إذا ضمهُ مِنـــى**
ومن مالئ عينيهِ من شيء غيره إذا راحَ نحو الجمرةِ البيض كالدمى
يَسحبنَ أذيال المروط باســـوقٍ خدالٍ إذا ولين اعجازهـــــا روى
أوانِسُ يسلبن الحليم فـــــؤاده فيا طول ما شوقٍ ويا حسن مجتلى
مع الليل قصراً رميُها بأكفهـــا ثلاثُ أسابيع تُعد من الحصـــــى
فلم أر كالتجمير منظر ناظـــرٍ ولا كليالي الحج أفلتن ذا هـــوى

قال : نعم ،قال ،لا جرم ألا تحج مع الناس العام وإخراجه إلى الطائف حتى قضى الناس حجهم " [٣٩].

وأغلب الظن أن سليمان ما أخرج عمر من موسم الحج هذا إلا خوفاً منه أن ينسج قصائد يصور فيها الحاجات من الأمويات من حاشية سليمان فيصدق الناس ذلك فاستبق الأمر بنفيه إلى الطائف حتى إذا كتب شعراً فيهن لا يكون شعراً واقعياً ، سيما وإنه في كثير من شعره يصف مغامرات فيها شيء من المجون ، ولم يقف الأمر إلى النفي بحجة أنه قال شعراً لا يستسيغهُ بنو أمية بل وصل الأمر إلى التحذير بكتاب رسمي والتلويح بعقوبة رادعة من قبل الحجاج والي العراق إذ " يروى أن عبد الملك بن مروان والحجاج حذرا عمر من مغبة التشبيب بفاطمة ابنة عبد الملك بن مروان"[٤١].

إذ يروى أنه " لما حجت فاطمة ابنة عبد الملك بن مروان جعل عمر يدور حولها ويتغزل بها دون ذكر اسمها فلما انتهت من الحج وغادرت قال فيها :

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي	**ليتني مت قبل يوم الرحيل**
لا اطيق الكلام من شدة الوجـ	**ـدِ ودمعي يسيل كل مسيـــل**
ذرفت عينها ففاضت دموعـــي	**وكلانا يلقي بلب أصيـــــل**
لو خلت خلتي ، اصبت نـــوالاً	**أو حديثاً يشفي مع التنويل**
ولقد قالت الحبيبة : لـــــــولا	**كثرة الناس جدت بالتقبيـل (*)**

والملاحظ أنه لم يذكر اسمها خوفاً من الحجاج الذي توعده بالقصاص منه إن ذكرها في شعره أو عرض باسمها " [٤٢] .

بذلك تكون العلاقة بين ابن أبي ربيعة والسلطة الحاكمة علاقة متوترة وصلت إلى حد الإبعاد والإقصاء تارة والتهديد والوعيد تارة أخرى ، وهذا ما يؤكد ويدعم وجهة نظرنا في أن بعض شعر ابن أبي ربيعة فيه ملامح من الغزل السياسي إذ القصد منه ليس الحب والعبث والمجون وإنما القصد منه التجريح والنيل من الساسة .

الخاتمـــــة:

وصف الشعر العربي ديوان العرب لأنه صور حياتهم على مر الأزمنة ، أي إنه صورة اجتماعية لأمة ، فهو ناتج عن أفراد وموجه إلى أمة وفي ذات الوقت معبر عن حركة هذه الأمـة راصداً تاريخها بغض النظر عن مصداقية هذا التصوير لأنه صادر من الوجدان والعاطفة إلا إنه عُد في أغلبه صورة رسمت تاريخ أمتنا على اختلاف عصورها .

بعد رحلة مع أحد شعراء العصر الأموي والذي صور عصره بصورة وجدانية صادقة وبعد الإطلاع على شعر عمر بن أبي ربيعة وانتقاء ما يتوافق ورؤيتنا في هذا البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج المهمة التي وددت أن أختم بها هذا البحث : -

١- من خلال دراسة البيئة الأدبية والسياسية للحجاز توصلت إلى أن الغزل السياسي هو من نتاج شعراء الحجاز ففي الجاهلية شبب الشاعر الجاهلي (كعب الأشراف) بنساء المسلمين على سبيل الكيد والإغاظة وبعد نزول الإسلام استمر هذ اللون من الغزل السياسي فتغزل (عبد الرحمن بن حسان بن ثابت) بمجموعة من نساء الأمويين على سبيل الإيذاء ومن ثم أبدع في هذا الميدان (عبيد الله بن قيس الرقيات) فضلاً عن ذلك دَفْعُ الأمويين بالعصبية واذكاء روح الشعر الجاهلي عبد الطريق أمام خصومهم ليخوضوا في مثل هكذا لون شعري .

٢- هناك مجموعة من الأسباب النفسية والبيئية (الاجتماعية) والأحداث السياسية أدت إلى دفع ابن أبي ربيعة إلى التغزل بنساء الخصوم (الأمويين) تغزلاً سياسياً منها : -

أ- إنه من عائلة كانت ذات شأن سياسي وطابع تواق إلى اعتلاء رؤوس المنابر ، فحب القيادة والتصدي لشؤون السياسة هو أشبه بالعقيدة الراسخة عند عائلة ابن أبي ربيعة حتى وصل الأمر ببعضهم إلى طلب النبوة لنفسه ، فحمل عمر في داخله هذا الحب للسلطة وترأس القوم .

ب- الأحداث السياسية وما صاحبها من سياسات (عسكرية قمعية) من حكام بني أمية وعمالهم على الأمصار وبطشهم بالحجاز وأهله في عدد من الوقائع الدموية ، جعلت الناس يناصبون العداء للأمويين دون أن يجهروا به خوفاً من البطش بهم .

٣- التوجه السياسي لعائلة ابن أبي ربيعة توجه زبيري واضح إذ إن أخاه (الحارث بن أبي ربيعة) كان والياً على البصرة أيام حكم (عبد الله بن الزبير) أي إنه أحد قيادات الحزب الزبيري ، وأخوه (عبد الرحمن) هو الآخر زبيري إذ تولى الدفاع عن حامية المدينة يوم الحرة حتى أوشك على الموت ، فتوجه عائلة ابن أبي ربيعة توجه زبيري وهو أحد أكثر الأحزاب السياسية تعصباً للحجاز وأهله في وجه بني أمية .

٤- بعد قراءة شعر ابن أبي ربيع ودراسته يتضح بجلاء وجود طابع رمزي لشعر بن أبي ربيعة بث من خلاله ما خالجه من كبت سياسي وخوف من السلطة الحاكمة ولعل أوضح تلك

الصور التكنيه عن النساء الأمويات اللاتي تغزل بهن فذكرهن بكناهن دون ذكر أسمائهن الصريحة خوفاً من بطش الأمويين .

٥- أظهرت السلطة الأموية عدم رضاها عن تغزل عمر بن أبي ربيعة في نسائهم وقد ظهر ذلك بوضوح من خلال التهديد والوعيد بعدم التغزل بنساء الأمويين بالكتابة له من قبل الحجاج والي العراق ، ومن توعد الخليفة له (عبد الملك بن مروان) أو نفيه إلى الطائف أثناء موسم الحج من قبل سليمان بن عبد الملك عندما جاء حاجاً هو ومجموعة من نساء البيت الأموي .

وبذلك نؤكد بأن بعض غزل بن أبي ربيعة في نساء البيت الأموي يندرج في خانة الغزل السياسي ، والذي قصد منه ذر الرماد في عيون حكام بني أمية وإيذاءهم والتشهير بهم بسبب سياساتهم التي آذت كل عربي ومسلم .

الهوامـــش

١- ينظر تاريخ الشعر السياسي ، أحمد الشايب ، ص ٥٠ .

٢- ينظر ، حديث الأربعاء / طه حسين / ج١ / ١٨٨ .

٣- الديوان / ٣٢٨ .

٤- ينظر مجلة رؤية / العدد الثامن /(الغزل في العصر الأموي) أمل طاهر نصير/سنة ٢٠٠٨ /ص ٤٨.

٥- الديوان/ ١٠٧.

٦- تاريخ الأمم والملوك / ، ينظر أحداث سنة ٩٣ هـ ، ج ٧ ، ص ١٠ وما يليها .

٧- أسطورة الأدب الرفيع / د. علي الوردي / ص ١١٧ .

٨- ينظر ، طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، ، ج ١ ، ص ٨٩ ، وينظر ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ج ١ ، ص ٢٣٩ .

٩- الأغاني ، ج١٥ ، ص ١٠٦ .

١٠ – ينظر الشعر في العراق في ولاية مصعب بن الزبير ص ١٠٠ .

١١ – ديوان العرجي ،ص ٦٢

١٢ – تهذيب سيرة ابن هشام ص ٨٤ .

١٣ – ينظر الأغاني / ج١ / ص ٦٤ .

١٤ – تاريخ الطبري ج ٣ / ٢٨٦ .

١٥ – شذرات الذهب / لابن العماد ج١ / ٤٠

١٦ – الحادثة في تهذيب سيرة ابن هشام ص٣٢-٣٣.

١٧عمر بن أبي ربيعة / رائد شعر الجمال والغزل الصريح ص ٢١ .

١٨ – المصدر نفسه ص ٢١ .

١٩ – عمر بن أبي ربيعة / جبرائيل جبور / ج٢ / ص ٢١ .

٢٠ – تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، شكري فيصل / ٤٠٤

٢١ – في الشعر الإسلامي والأموي / عبد القادر القط / ٢٢٠

٢٢ – الديوان / ٢٤٧ – ٢٤٨ .

٢٣ – ينظر معجم البلدان / ج٤ / ٢٠٢ .

٢٤ – معجم البلدان / ياقوت الحموي / ج٢ / ٣٦٢

٢٥ – ينظر معجم البلدان / ج٤ / ٣٦ .

٢٦ – الديوان / ٥٢ .

٢٧ – ينظر تطور الغزل بين الجاهلية و الإسلام / ٣٦٥ .

٢٨ – ينظر الديوان : ٤٩٤ .

٢٩ – الديوان / ٢٨٠ .

٣٠ – الديوان / ٨٥ .هذه الحادثة ذكرت في ديوانه وقد نقلت من كتاب الأغاني ج١ ص٦٤.

٣١ – الديوان / ٢٠٢ .

٣٢ – ينظر / مجلة رؤية / (الغزل في العصر الأموي)أمل طاهر نصير / ص ٦ .

٣٣ – الديوان / ٣٢٧ .

٣٤ – عمر بن أبي ربيعة شاعر قريش /ص ١٢٩ .

٣٥ – ينظر تاريخ الأمم والملوك / ج٧ / ص ١٠ وما بعدها .

٣٦ – ينظر الأغاني / ج ١ / ١٤٣ .

٣٧ – الموشح للمرزباني / ١٨٩ ، والأبيات في الديوان / ٢٥٠ .

٣٨ – ينظر الموشح / ٢٠٩ .

٣٩ – الموشح / ١٩٠ ، والأبيات في الديوان / ٢٦ – ٢٧ .

٤٠ – الأدب في عصر ابن مروان حتى سقوط دولة بني أمية /ص ٥٢ .

*الديوان / ٢٨٠ – ٢٨١ .

٤١ – الحادثة في كتاب الاغاني / ج١ /١٦٤.

المصـــــــادر

١- القرآن الكريم .

٢- أسطورة الأدب الرفيع – د. علي الوردي / منشورات سعيد بن جبير قم المقدسة / ط الأولى / ٢٠٠٥ – ١٤٢٦ هـ .

٣- الأدب في عصر بني مروان – د. محمد حامد الزقازيقي / المؤسسة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة / ط١ / ٢٠١٠ م .

٤- الأغاني – لأبي الفرج الأصبهاني / دار الكتب المصرية – القاهرة / ١٩٧٥ .

٥- تاريخ الأمم والملوك ، لابي جعفر بن جرير الطبري ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩.

٦- تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني/أحمد الشايب/ ط٤/القاهرة/مكتبة النهضة ١٩٦٦.

٧- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام/د.شكري فيصل/دار العلم للملايين بيروت/ ط٤/(د.ت).

٨- تهذيب سيرة ابن هشام /تحقيق عبد السلام هارون/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت /ط١٤/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٥ م.

٩- حديث الأربعاء / طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٦ .

١٠ – ديوان العرجي ، تحقيق وشرح ، خضر الطائي، ورشيد العبيدي، الشركة الاسلامية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٥٦.

١١ - ديوان عمر بن أبي ربيعة ، شرحه وقدم له عبد أ. علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان سنة ٢٣ – ٩٣ هـ .

١٢ – شذرات الذهب لابن العماد ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المنجد للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١،(د. ت) .

١٣ – طبقات فحول الشعراء / لابن سلام / دار المعارف بمصر ، ط١، ١٩٥٢ م.

١٤ – عمر بن أبي ربيعة / جبرائيل جبور / ط١ / دار العلم للملايين – بيروت .

١٥ – عمر بن أبي ربيعة ، رائد شعر الجمال والغزل الصريح / د. ياسين الأيوبي رشاد برنس للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت – لبنان / ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ .

١٦ – عمر بن أبي ربيعة (شاعر قريش) / د. محمد علي حجازي مطبعة المنصورة ط١ / القاهرة – ٢٠١١ / ١٤٣١ هـ .

١٧ – في الشعر الإسلامي والأموي / عبد القادر القط / دار النهظة العربية للطباعة والنشر / بيروت – ١٩٧٦ .

١٨- معجم البلدان / شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٢٢٦) ، دار بيروت ، دار صادر ١٩٥٧ .

١٩ – الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء /لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ت٣٨٤هـ / مطبعة المكتبة السلفية /القاهرة ١٣٤٣هـ .

الأطاريـــــح :

الشعر في العراق في ولاية مصعب بن الزبير (دراسة موضوعية وفنية) رسالة تقدمت بها (خالدة جاسم مشري) إلى مجلس كلية الآداب للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، بإشراف أ . م . د أحمد حياوي السعد ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ص ١٠٠ .

الدوريـــات :

مجلة رؤية بحث بعنوان التفسير النفسي لشعر عمر بن ابي ربيعة / أمل طاهر نصير / الإمارات العربية المتحدة / العدد الاول / ٢٠٠٨ .